وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية

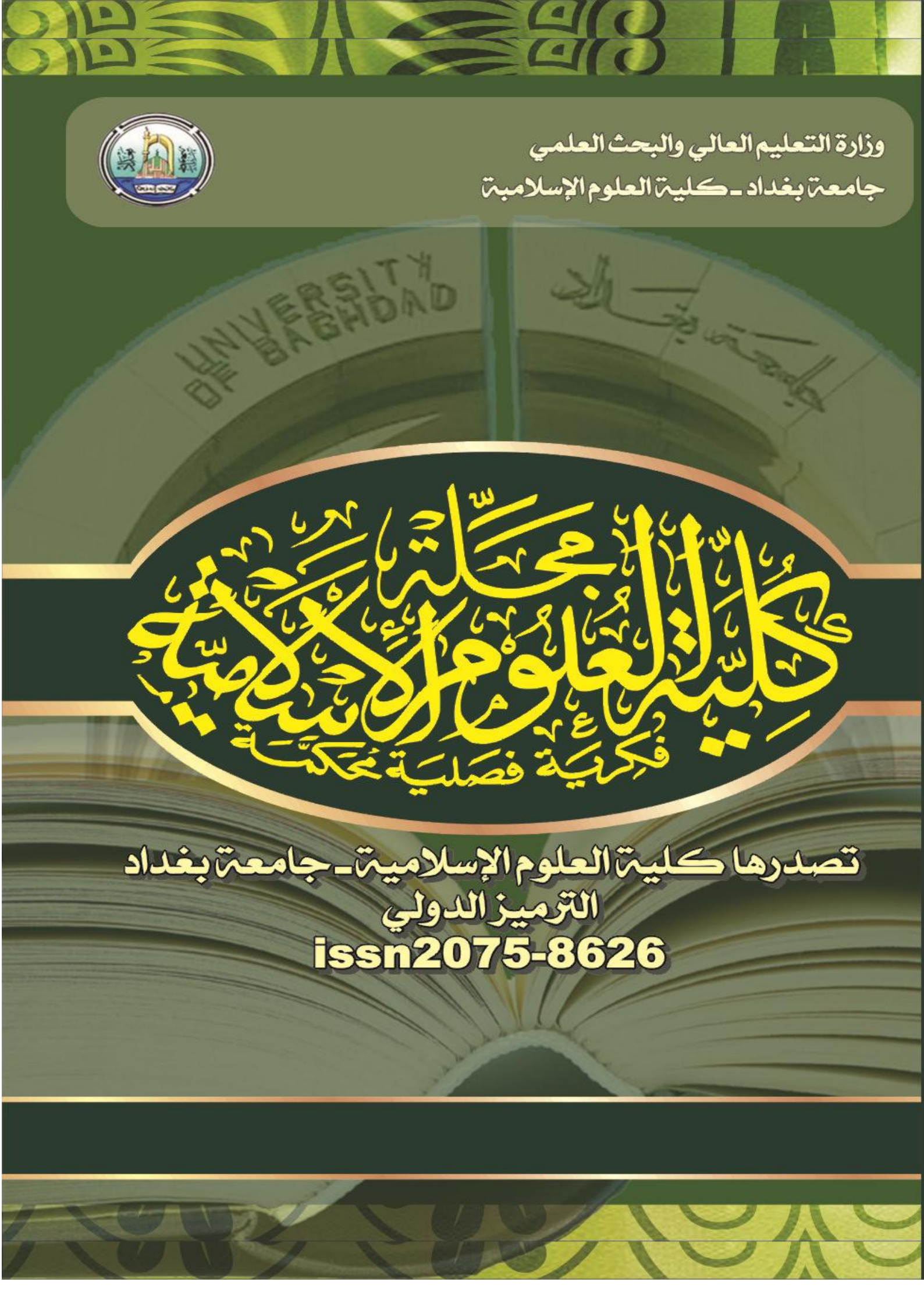

مجلة كلية العلوم الإسلامية

فكرية فصلية محكمة

تصدرها كلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد
الترميز الدولي
issn2075-8626

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد ـ كلية العلوم الإسلامية

مجلة كلية العلوم الإسلامية

فكرية ـ فصلية ـ محكمة

تصدرها
كلية العلوم الإسلامية
جامعة بغداد

العدد (١٨)

الترميز الدولي : ISSN 2075-8626

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٦٣٣) لسنة ١٩٩٦م

جامعة بغداد - كلية العلوم الاسلامية

محتويات العدد ١٨ لعام ٢٠٠٨

اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
حب الدنيا وشهواتها وافضلية لأخرة ونعيمها	د. احمد جلوب جاسم	٧
وصايا لقمان لابنه	م.م . وضاح عامر عبد الباقي	٧٨
قارون في القران الكريم	د. احمد عبد الستار الدهان	١٢٦
العناية بالقران الكريم في العهد النبوي الشريف	د.علي جمال علي	١٨٩
الرجوع في الهبة وموانعه في الفقه الاسلامي والقانون العراقي	د. ساجر ناصر الجبوري حسين احمد النجدي	٢٦٥
الوصية في المفهوم الاسلامي	عمر جاسم عنيد	٣٩٩
حكم امامة الصبي في الصلاة	د. عبد محمود عزيز صفر	٤٤٩
حكم جمع الصلاة من غير عذر عند الحاجة	د. حسين الشيخ غازي السامرائي	٥٣١
حماية الاقليات وفقا لمبدأي حق تقرير المصير والتدخل الانساني	م. م .علي حسين علوان	٥٧٨
الضوابط الفقهية واهم تطبيقاتها في باب الطهارة عند فقهاء الشافعية	د. محمد نجيب الجوعاني	٥٧٨
قضية الخلاص في الفكر الديني واثرها في التصوف الاسلامي	م.د. سعدي محمد عواد	٦٣٧
الزاهد ومتاع الحياة الدنيا	*د. عبد هادي فريج القيسي*	*٧٠٣*
الاحكام المتشابهة في الكتب السماوية المقدسة (القران والانجيل) دراسة تحليلة	د. عمر نجم الدين الجباري	٧٥٠
الاستعارة في ديوان شجر القمر لنازك الملائكة	م.م. لقاء عادل حسين	٨٤٠
غزوة دومة الجندل واثرها في عصر النبوة والخلافة الراشدة	م.م. عماد علي الشمري	٨٧٧
النظر في علم الكلام على ضوء مقاصده	د. محسن قحطان حمدان	٩١٣
الاسماء و الصفات وما اصطلحه الكلاميون	د. عبد الكريم هجيج طعمة	٩٧٤
المنهج الفقهي عند الامام القرطبي من خلال تفسيره ايات الاحكام	د. عبد الوهاب الاعظمي	١٠٢٣
الرثاء في شعر حافظ ابراهيم دراسة فنية موضوعية	م.م. خالدة عثمان فتاح	١٠٤٧
قاعدة الاصل في الاشياء الاباحة واثرها في الشريعة الاسلامية	د. ابراهيم عبد الرزاق محمود الهيتي	١١٣٠
حكم حق الانسان في الدفاع عن نفسه وحرماته في الفقه الاسلامي	د. اسماء نوري مزهر	١١٧٠

حُبّ الدنيا وشهواتها وأفضلية الآخرة ونعيمها

في سورة آل عمران

"دراسة موضوعية"

بحث تقدم به

الدكتور أحمد جلوب جاسم العيساوي

قسم أصول الدين / تخصص تفسير

المُقدَّمــة

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

واشهد ان لا اله إلاّ الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدًا عبده ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ .

أما بعد ..

فان حب الدنيا وشهواتها رأس الخطايا ومفسدة الدين، وإن عاشقها ومحبها الذي يؤثرها على الآخرة من أسفه الخلق ، وأقلهم عقلاً، إذ آثــر الخيال على الحقيقة، والمنام على اليقظة، والظل الزائل على النعيم الدائم والدار الفانية على الدار الباقية، وباع حياة الأبد في ارغد عيش بحياة إنما هي أحلام ونوم أو كظل زائل وكما قيل: إن اللبيب بمثلها لا يخدع.

وإن سبب اختياري للموضوع يرجع إلى أمرين:

الأول: أنني حين تأملت أسباب الخلافات والصراعات التي ابتلــي بهــا بلدنا الجريح المحتل على اختلاف أسبابها وتعدد مشاربها وجدتها لا تعدو زينة الحياة الدنيا وحب شهواتها وإيثارهــا علــى الجنّــة

) سورة النساء الآية .

ونعيمها سواء أكان ذلك في الداخل أم في الخارج والأمر كـــذلك لعالـ نا الإسلامي.

ومن هنا ـ ول إذا أراد أبناء أمتنا ان يعودوا إلى سالف مجدهم – كما كانو – فعليهم أن يحرروا أنفسهم أولاً من عبودية حُبّ الدنيا وشهواتها ليكونوا عباد الله مخلصين لا لنساء ولا لبنين ولا لأموال مكدسة ولا لخيل مسومة أو أنعام أو حرث إلا في حدود ط عة الله، كما كان أصحاب رسول الله ﷺ فلقد كانوا أنموذجًا حيًـــا للـــتلاحم والتآخي والإيثار وتحقيق مصلحة الأمة وتقديمها على ما سواها في كل شأن من شؤون حياتهم وما كان ذلك ليتحقق لولا إيثـــارهم رضي الله عنهم للآخرة الباقية على الدنيا الفانية فقد عاشوا سعداء وماتوا شهداء إلى جنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

الأمر الثاني: فقدان حلقة الوصل بين علم الأمة وما يجب عليها من عمل فما نراهُ اليوم ونسْمَعَهُ في واقعنا المؤلم يخالف سنة الحياة إذ صرنا نتعلم لنتعلم فحسب لا نتعلم لنعمل والله تعالى يخبرنا فيقـــول: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[1].

فمن اكبر المصائب التي ابتليت بها امتنا في هذا العصر أنّها تركت العمل والإصلاح في اغلب مؤسساتها ومنها المؤسسات الشرعية والتـــي هي واجهة الإسلام، فتخلفنا في كل شيء حتى في فهمنا وتطبيقنا لشريعة

---

[1] سورة الصف الآية ٣.

ربِّنا فانهزمنا أو كِدْنا أمام التيارات الفكرية الفاسدة المفسدة كل ذلك بسبب إيثارنا حُبّ الدنيا وشهواتها على جنة الآخرة ونعيمها ولذا حاولت في هذه الدراسة جاهدًا أن أعالج هذا الموضوع المهم الحيوي، وقد اتبعت في هذه الدراسة خطوات التفسير الموضوعي على آيتين من سورة آل عمران في الآية الأولى جمع السياق القرآني فيها أحب شهوات الأرض إلى نفس الإنسان وهي خلاصة الرغائب الأرضية أما بذاتها وإما بما تستطيع أن تهيئ لأصحابها من لذائذ أخرى، وفي الآية الثانية عرض الله تعالى لذائذ أخرى في العالم الآخر. وقد أملت عليّ هذه الدراسة ان اقسمها على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الحب والشهوة.

المبحث الثاني: حب الدنيا وشهواتها.

المبحث الثالث: أفضلية الجنة ونعيمها.

واعتمدت في هذه الدراسة على مصادر ومراجع كثيرةٍ تمثلت في كتب التفسير والمعاجم اللغوية والحديث وغيرها وقد ذكرتها بأوصافها الكاملة في فهرست المصادر والمراجِ .

وأخيرا أسأله سبحانه أن يجعل عملي – هذا – خالصًا لوجهه الكريم وأن ينفع به المسلمين إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير ...

الباحث

المبحث الأول

مفهوم الحب والشهوة

المطلب الأول

مفهوم الحُبّ

أولاً: تعريف الحُبِّ في اللغة والاصطلاح :

الحُبّ لغةً: نقيض البغض ويأتي بمعنى الوداد والمحبة، وكذلك (الحِبّ) بكسر الحاء وأحبّه فهو محبوب، واستحبَّهُ كأحبّه والاستحباب كالاستحسان.

والمحبة: اسم للحب، والحِبّ (بكسر الحاء) يعني الحبيب، وكان زيد بن حارثة رضي الله عنه يدعى حِبَّ رسول الله ﷺ، والأنثى منه (حِبّة)، وجمع الحُبِّ، أحباب، وحِبّان، وحُبوب .

الحُبِّ اصطلاحا: صفة نفسية تدعو صاحبها إلى الرغبة في الشيء والميل إلى لقائه وبقائه ضد الكراهية والبغض لـ[1].

والمَحبّ : إرادة ما تراه أو تظنهُ خيرًا وهي على ثلاثة أوجه:[2]

---

[1] ينظر: لسان العرب، لابن منظور ٤٢/ ٤٣/ ؛ وتاج العروس، لمحمد مرتضى الزبيدي ٥٧٨. ؛ والقاموس المحيط، للفيروز آبادي ١٠.

[2] ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن، لعبد الكريم المدرس / ٥١ .

احدها: مَحبّة لذة كمحبّة الرجل للمرأة.

الثاني: مَحبّة نفع كمحبّة شيء ينتفع به ومنه قوله تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] .

الثالث: محبة للفضل كمحبة أهل العلم بعضهم لبعض لأجل العلم، وربما فُسِّرت المحبة بالإرا ة كما في قولـــه تعـــالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾[2] .

وليس كذلك فإن المحبة أبلغ من الإرادة فكل محبةٍ إرادة وليس كل إرادة محبَّةٌ، وحقيقة الإستحباب، أن يتحرى الإنسان في الشيء ليحبّا[3] .

ثانيًا: دواعي الحُبُّ :

للمحبة داعيان : الجمَّال والإجلال والله تعالى له الكمال المطلق من ذلك فإنّه جَميل يُحبُّ الجمال، بَل الجمَّال كُلّه له والإجْلال كُلُّه منه فـــلا يَسْتحِقُ أن يُحب لذاته من كلِ وجه سواه قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ

---

[1]) سورة الصف الآية ١٣ .

[2]) سورة التوبة من الآية ١٠٨ .

[3]) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، للأصفهاني ٥٠٢ .

اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ .

فالولاية أصلها الحب، فلا موالاة إلاّ بحب، كما أن العداوة أصلها البغض، ولهذا أنكر سبحانه على من اتخذ من دونه أولياء بخلاف من والى أولياءه وقد أنكر على من سوّى بينه وبين غيره في المحبة إذ قال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ .

وبها التوحيد في الحُبِّ أرسل الله سبحانه جميع رسله ولأجله خلقت السموات والأرض، والجنة والنار، فجعل الجنة لأهله والنار للمشركين با .

إذ لا يمكن أن يجتمع في القلب حُبّان حب المحبوب الأعلى وعشق الصور أبدًا بل هما ضدان لا يجتمعان، فمن كانت قوة حبه كلها لله

) سورة آل عمران الآية ٣١ .

) سورة المائدة من الآية ٥٤ .

) سورة المائدة الآية ٥٥ .

) سورة البقرة من الآية ١٦٥ .

) ينظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن قيم الجوزية ص١٧ ـ ١٨ .

صرفه عن محبة ما سواه وإن أحب شيئًا فلن يحبّه إلاّ لأجله أو لكونه وسيلة له إلى محبته والمحبة الصادقة تقتضي توحيد المحبوب، وأن لا يشرك معه غيره في محبته، وإذا كان المحبوب من الخلق يأنف ويغار أن يشرك في محبته غيره ويمقته لذلك، ويعده كاذبا في دعوى محبته، فكيف بالـ بيب الأعلى الذي لا تنبغي المحبة إلا له وحده ؟ وكل محبة لغير الله فهي عذاب على صاحبها ووبال عليه، ولهذا فان الله لا يغفر لمن يشرك به في هذه المحبة ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ .

وأما محبّة الصور تفوق محبة ما هو أنفع لعبد منها، بل يفوت مَحبّةُ ما ليس له صلاح ولا نعيم ولا حياة نافعة إلا بمحبته وحده فليختر إحدى المحبتين فإنهما لا يجتمعان في قلب، ولا يرتفعان منه، فمن اعرض عن محبة الله وذكره والشوق إليه أبتلاه بمحـ ة غيره فيعذبه في الدنيا، وفي البرزخ، وفي الآخرة، فإما أن يعذبه بمحبة الأوثان، أو بمحبة النساء أو بمحبة العشراء والخلاّن أو بمحبة ما هو دون ذلك مما هو في غاية الحقارة والهوان، فمن لم يكن إلهه مالكه ومولاه كان إلهه هوا ،

) سورة النساء من الآية ٨ .

) ينظر: الجواب الكافي، لابن يم الجوزية ٥٨ ٥٩ .

قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

) سورة الجاثية الآية ٣٠ .

ثالثًا: رَأْيُ الإسْلامِ في الحُبِّ:

إنّ الحب في الإسلام أعم واشمل من قصره على صورة واحدة كما يحدث اليوم وهي الحب بين الرجل والمرأة، فهناك مجالات أشمل وأرحب وأسمى له، فهناك حب الله تعالى ... وحب رسوله ﷺ، وصحابته رضي الله عنهم ... وحب أهل الخير والصلاح، وحب الدين ونصرته، وحب الشهادة في سبيل الله، وهناك مَحابٌ كثيرة فمن الخطأ والخطر أن نقصر هذا المعنى الواسع على الحب بين الرجل والمرأة فحسب على حساب أنواع الحب الأخرى لأن في هذا إفراط وضياع لكثير من الحقوق والواجبات الدنيوية والأخروية، كما إننا في الوقت نفسه لا ننكر هذا الحب، لأن الإسلام دين واقعي لا يُحمِّلُ النفس البشرية أكثر من طاقتها ولا يكلفها إلا وسعها، فالحُبُّ والجمال نزوع فطري فطر الله الإنسان عليه، فصار جزءًا من كيانه وميوله وهو ضروري لاستمرار الحياة وتجددها. ولكي نقف على مشروعية هذا الحب سنأخذ أمثلة واقعية على حب سيدنا إبراهيم وداود، ونبينا محمد (عليهم الصلاة والسلام) وعلى حب السلف الصالح رضي الله عنهم وكالاتي:

. حُبّ سيدنا إبراهيم عليه السلام لزوجته (سارة) والذي كان يُحبها حبًا شديدًا حتى أنه عاش معها ثمانين عامًا وهي لا تنجب لكنه من أجل حبَّه لها لا يريد أن يتزوج غيرها أبدًا ... حتى لا يؤذي مشاعرها، فلما طلبت

منه السيدة سارة أن يتزوج من هاجر والحَّت عليه اضطر إلى النزول عند رغبتها .

. عن أبي هريرة ﷺ أنّ داود عليه السلام عنده تسعة وتسعون امرأة فأحَبَّ امرأة فتزوجها فكمَّل المئا .

. قوله ﷺ لعمرو بن العاص حين عاد منتصـــرًا مـــن غـــزوة (ذات السلاسل) وسأله قائلاً: [**من أحب الناس إليك؟ فقال له ﷺ: عائشة، فقال عمرو: إنما سألك عن الرجال ...، فقال ﷺ: أبوها**] .

فالرسول ﷺ عندما سئل، قال: (أبوها)، ولم يقل أبا بكر ﷺ لشدة حبّه لها ﷺ، فالأتقياء الأنقياء يحبّون بصدق وطهر لا يخشون البوح به أمام الخلق، أمّا الذين يحبون لأجل الشهوة والغريزة البهيمية والنيل من أعراض المسلمات ... فإنهم يحاولون دائمًا أن يكون ذلك بعيـــدًا عن الخلق وفي الظلمات.

. موقف رسول الله ﷺ الذي يقول فيه لعائشة حين غارت من خديجة رضي الله عنها: [**إني رزقت حُبَّها**] .

) ينظر: الجواب الكافي، لابن قيم الجوزية ٣١ .

) مسند الإمام أحمد ٥٢٦ برقم ٨٢٢).

) سنن الترمذي، للإمام الترمذي ٠٧ ، كتاب المناقب باب فضل عائشة رضي الله عنها برقم ٨٩٠).

. شفاعة النبي ﷺ لعاشق أن تواصله معشوقته بأن يتزوج بها فأبت، وذلك في قصة مُغيث وبريرة، لما رآه النبي ﷺ يمشي خلفها ودموعه تجري على خديه فقال لها رسول الله ﷺ: **[لو راجعتيه؟ فقال: أتأمرني يا رسول الله؟ فقال: لا، إنما اشفع، فقالت: لا حاجة لي به، فقال لعمّه: يا عبّاس، ألا تعجب حبّ مُغيثٍ بريرة ومن بغضها له]** ، ولم ينكر عليه حبّها، وإن كانت قد بانت منه.

. . عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **[أنه رأى امرأةً فأتى زينب فقضى حاجته منها وقال: إن المرأة تُقبلُ في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم إمرأة فأعجبته فليأتي أهله، فإن ذلك يَردُّ ما في نفسه]** .

ففي هذا الحديث فوائد عدة منها:

أ. الإرشاد إلى التسلي عن المطلوب جنسه، كما يقوم الطعام مقام الطعام، والثوب مقام الثوب.

) صحيح مسلم: ١٨٨٨ تاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة رضي الله عنها برقم ٤٣٥).

) صحيح البخاري ٤٠٨ كتاب الطلاق، باب شفاعة النبي ﷺ في زوج بريرة.

) صحيح مسلم ١٠٢١ كتاب النكاح، باب ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه برقم ٤٠٣).

ب. الأمر بمداوات الإعجاب بالمرأة المورث لشهوتها بأنفع الأدوية، وهو قضاء وطره من أهله وذلك ينقض شهوته لها، ومثل هذا ما ارشد النبي ﷺ المتحابين إلى النكاح إذ قال: [**لم يُرَ للمتحابين مثل النكاح**].

فنكاح المعشوقة هو دواء العشق، الذي جعله الله دواءً شرعًا، وقد تداوى داود عليه السلام به ولم يرتكب محرمًا وإنما تزوج المرأة وضمها إلى نسائه لمحبته لها... ولا يليق بنا المزيد على ذلك[1].

ومن الأمثلة والأدلة السابقة يتبين لنا أن الحُبَّ جائز في الإسلام ولكن بشروط منها:

. أن يكون خاليًا من المخالفات الشرعية كاللمس، والمصافحة، والخلوة، والغمز، وغير ذلك.

[1]. أن لا يلهي عن ذكر الله تعالى وعن الحب الأكبر له ولرسوله ﷺ.

[2]. أن يكون المُحبُّ ممن يستطيع أن يكبح جوارحه ونفسه كما كان السلف رحمهم الله تعالى، ولذا يقول ابن القيم (رحمه الله): (إما الكلام في العشق العفيف من الرجل الظريف الذي يأبى له دينه وعِفتَه ومروءتهُ أن يفسد ما بينه وبين الله تعالى)[2].

---

[1]) المستدرك على الصحيحين، للنيسابوري [1] ٦٠ ؛ وسنن البيهقي [2] ٨.

[2]) ينظر: الجواب الكافي، لابن قيم الجوزية [1] ٢٩.

[3]) الجواب الكافي، لابن قيم الجوزية [2] ٢٠٧.

. أن لا يتعرض للمحبوبة بالذكر في جماعة – إلاّ أن يكون قـ د تزوجها – بل عليه كتمان ذلك.

. عدم استخدام الطرق الشركية للوصول إلى المحبوبة كاستعانة العاشق بالسِّحر . هذا رأي الإسلام في الحب.

أمّا رأيه فيما ظهر في السنوات الأخيرة بما يسمى بـ (عيد الحب) والذي انتشر بين كثير من شباب المسلمين ذكورًا وإناثًا فهو الحرمةُ لأنّ أصل هذا العيد هو عقيدة وثنية رومانية يعبر عنها بالحب الإلهي للوثن الذي عبدوه من دون الله تعالى فمن احتفل به فهو يحتفل بمناسبة شركية تُعَظَّم فيها الأوثان قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [1]، علمًا أن هذا العيد قد تم إبطاله من قبل رجال الدين النصرانيين في ايطاليا معقل الكاثوليك، لما فيه من إشاعة الأخلاق السيئة والتأثير على عقول الشباب والشابات أوَ لا كان الأولى بالمسلمين أن ينبذوه ويحذرّوا منه ويقوموا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تجاه هذا الانحراف الخطير والمسمى (بعيد لحب) [2] ؟ .

وأقول للمسلمين الذين يحتفلون بهذا العيد إن الذي تحتفلون به ومن اجله فتسمونه حبًّا هو ليس بحبٍّ بل هو رغبة جنسية جامحة لا تتقيد

---

[1] ينظر الجواب الكافي، لابن قيم الجوزية ٨ .

[2] سورة المائدة من الآية ٧٢ .

[3] ينظر: ضحايا الحب، ليوسف أحمد ٢٣ ٢٤ .

بدين أو عرف أو خلق أعوانها شياطين الإنس والجنِ يوحي بعضهم لبعض زخرف القولِ غرورًا، أما الحب الحقيقي الذي كان عليه سلف فهو الذي تكون غايته النكاح وهذا لا يتحقق إلا بعد الزواج لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ .

وأخيرًا أقول للذين يظنون بأن الحب - غير شرعٍ - قبل الزواج مفيد والعلاقة نافعة أن ظنكم خائب كما أثبتت الدراسات وتجارب الواقع ففي دراسة أجرتها جامعة القاهرة حول ما أسمته: زواج الحُبِّ والزواج التقليدي، جاء في الدراسة:

الزواج الذي يأتي بعد قصة حُبّ ينتهي ٨) من حالاته إلى الإخفاق أي: أن نسبة النجاح لا تتجاوز ٢) وأمّا ما أطلقت عليه الدراسة (الزواج التقليدي) فقد حَقّق نسبة ٠) من حالات النجاح ومن هذه الدراسة يتبين أن عدد حالات الزواج الناجحة في الزواج التقليدي تعادل ستة أضعاف ما يسمى بـ (زواج الحب) .

) سورة الروم من الآية ١ .

) ينظر: ضحايا الحب، ليوسف عمر ٢٨ .

المطلب الثاني

مفهوم الشهوة

أولاً: الشهوة في اللغة والاصطلاح :

الشهوة لغة : من شها: شهي الشيء، وشهاه، كشهاهُ، شَهوة، وشهاه، وأشهاه: أي أحبه ورغب فيه، والتشهّي: اقتراح شهوة بعد شهوة، يقال: تَشَهّت المرأة على زوجها فأشهاها أي أطلبها شهوتها وقوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [1] أي يرغبون في الحياة الدنيا وأشهاه، أي أعطاه ما يشتهي، والشهوة الخفية، تطلق على شهوة النساء وغيره [2].

والشهوات جمع شهْوةِ بإسكان الهاء وهي مصدر يراد به اسم المفعول أي: المشتهيات، حيث جعل نفس المصدر مبالغة [3]، وقال أمرأة من بني نصر بن معاوية:

فلولا الشُّهى – والله – كنتُ جديرةً بأن أتركَ اللذات في كل مشهدِ [4]

---

[1] سورة سبأ من الآية ٥٤.

[2] ينظر: كتاب العين، للفراهيدي ٨/ ٣٥٥٤، والقاموس المحيط، للفيروز آبادي ٢/ ٣٥٥٥، ولسان العرب، لابن منظور ١٣/ ٢٥٥٣.

[3] ينظر: اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص الدمشقي ١/ ٢٠١.

[4] ينظر: الأشباه والنظائر، للبلخي ١/ ٢٨؛ والبحر المحيط، لابن حيان ٧/ ٢٩٠؛ والدر المصون: للسّمين الحلبي ١/ ٢٢.

الشهوة اصطلاحًا : هي حركة للنفس طلبًا للملائم .

وقيل هي : نزوع النفس إلى محبوب لا تتمالك عنا .

وقال الراغب : أصل الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده وذلك في الدنيا ضربان: صادقة وكاذبة، فالصادقة ما يختل البدن من دونها كشهوة الطعام عند الجوع، والكاذبة مالا يختل مالا يختلُ من دونها، وقد يسمى المشتهى شهوةً وقد يقالُ للقوة التي تشتهي الشيء شهوة وقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ يحتمل الشهوتين، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ ، فهذا من الشهوات الكاذبة، ومن الشهوات المستغنى عنها قوله في صفة الجنا : ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ﴾ .

) التعريفات، للجرجاني ٧٠ .

) التعاريف، للمناوي ٤. .

) سورة آل عمران من الآية ٤ .

) سورة مريم من الآية ١٩ .

) مفردات ألفاظ القرآن، للأصفهاني ٧٠ .

) سورة فصلت : من الآية ٣١ .

والشهوات: جمع شهوة وهي انفعال النفس بالشعور الحاجة إلى ما تستلذه وهي شائعة الاستعمال ، وفي تسميتها بهذا الاس - الشهوات فائدتان:

أحداهما: أنه جعل الأعيان التي ذكره - في الآية - شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصًا على الاستمتاع بها.

الثانية: أن الشهوة صفةً مسترذلةٌ عند الحكماء مذموم من اتبعها، شاهدٌ على نفسه بالبهيمية فكأن المقصود من ذكر هذا اللفظ التنفير منه .

وعن انس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [**حُفّت الجنّةُ بالمكارِه وحُفّت النّارُ بالشهوات**] ، وفائدة هذا التمثيل أن الجنة لا تنال إلا بقطع مفاوز المكاره وبالصبر عليها. وأن النار لا ينجى منها إلا بترك الشهوات وفطام النفس عنه .

(إن الاستغراق في شهوات الدنيا، ورغائب النفوس ودوافع الميول الفطرية هو الذي يشغل القلب عن التبصر والاعتبار، ويدفع بالناس إلى الغرق في لُجّة اللذائذ القريبة المحسوسة، وتحجب عنهم ما هو أرفع

) تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا ٢ ٣٨ .

) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي ٢ .

) صحيح مسلم ٢١٧٤ كتاب الجنة وصفة النعيم برقم ٨٢٢).

) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٣ .

وأعلى، ويُغلِظُ الحس فيحرمه متعة التطلّع إلى ما وراء اللـذة القريبـة؛ ومتعة الاهتمامات الكبيرة اللائقة بدور الإنسان العظيم في هذه الأرض، واللائقة كذلك بمخلوق يستخلفه الله في هذا الملك العريض.

ولما كانت هذه الرغائب والدوافع – مع هذ – طبيعيـة وفطريـة ومكلفة من قبل البارئ - جل وعلا - لتؤدي ا بشرية دورًا أساسيًا فـي حفظ الحياة وامتدادها، فان الإسلام لا يشير بكبتها وقتلهـا، ولكـن إلـى ضبطها وتنظيمها، وتخفيف حدتها واندفاعها، والى أن يكـون الإنسـان مالكًا لها متصرفًا فيها لا أن تكون مالكة له متصرفة فيه، والـى تقويـة روح التسامي فيه والتطلع إلى ما هو أعلى[1] .

ثانيًا: تزيين الشهوة :

اختلف المفسرون في إسناد تزيين الشهوات في هذا المقام إلى مـا يأتي:

الزّين: خلاف الشيْن وجمعه أزيان فقولنا: زانه زينًا وأزانه وأزينه، على الأصل وتَزيَّن هو وازدان بمعنى واحد وتصغير مـزدان، مُـزَيَّن. وقال الأزهري: سمعت صبيًا يقـ ل لآخر: وجهي زين ووجهك شيْنٌ أراد أنّه صبيح الوجه وأن الآخر قبيحهُ والتقدير وجهـي ذو زيـنٍ ووجهك ذو شيْن.

---

[1] في ظلال القرآن، لسيد قطب ٢ ٢٧٣ .

والزنية: اسم جامع لكل شيء يتزين به، والزينة: ما يُتَزَيَّنُ بـــه، ويـــوم الزينة يوم العيد .

والزينة: تحسين الشيء بغيره من لِبْسَةٍ أو حِلْيةٍ أو هيئةٍ، والزينة الحقيقة ما لا يشين الإنسان في شيء من أحواله في الدنيا والآخرة .

وقد اختلف المفسرون في إسناد التزين على قولين:

الأول: ما قاله الحسن من أن التزيين من الشيطان، لأن الله تعالى أطلق حُب الشهوات فدخل فيها حب الشهوات المحرمة، ومزين الشهوات المحرمة هو الشيطان.

والثاني: أن المُزين هو الله تعالى واحتجوا عليه بوجوه:

أحدها أنه تعالى كما رَغّب في منافع الآخرة فقد خلقَ ملاذَ الدنيا وأباحها لعبيده.

وثانيها: أن الانتفاع بهذه الشهوات وسائل إلى منافع الآخرة والله تعـــالى ندب إليها، فكان تزييناً لها.

وثالثها قوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ ، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى

) ينظر: لسان العرب، لابن منظور ٢ ١٩٠٢، ١٩٠٣ مادة (زين).

) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، للاصبهاني ١٨٠؛ والتعاريف، للمناوي ٢٩١ .

) سورة البقرة من الآية ٢٩ .

) سورة الأعراف من الآية ٣٢ .

﴿الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا﴾ ، وقال تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً﴾ .

والقول الثاني هو الراجح، إذ إن الله تعالى أنشأ الناس على هذا وفطرهم عليه ومثل هذا لا يجوز إسناده إلى الشيطان بحال من الأحوال، وإنّما يسند إليه – أي الشيطان – ما قد يُعَدُّ هو من أسبابه كالوسوسة التي تزين للإنسان عملاً قبيحًا. ولذلك لم يسند القرآن للشيطان إلاّ تزيين الأعمال. قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ ()،وقال تعالى : ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ، وأمّا الحقائق وطبائع الأشياء فلا تسندُ إلاّ إلى الخالق الحكيم الذي لا شريك له، قال ﷻ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ ، وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ ، ومن هذا

) سورة الكهف من الآية .

) سورة الأعراف من الآية ٣١ .

) سورة البقرة من الآية ٦٨ .

) ينظر: مفاتح الغيب، للرازي ٢٠٨ ؛ واللباب في علوم الـ ـاب، لأبي حفص عمر بن علي ٢٠ ١ .

) سورة الأنفال من الآية ٤٨ .

) سورة الأنعام من الآية ٣٣ .

) سورة الكهف من الآية .

هذا يتبين أن تزيين الشهوات لا يضاف إلاّ إلى الله تعالى إذ هو لا يَحُثُّ إلاّ على المشروع سواء أكانت شهوة أو غيرها وأمّا الشهوة المحظورة فتزيينها بالمعنى الثاني مضافُ إلى الشيطان تنزيلاً لوسوسته وتحسينه لها ويحث على تعاطيه[1].

ثالثاً : النظر رائد الشهوة ورسولها :

إنّ حفظ البصر وغضّه هو حفظ للفرج وإطلاقه يورد المهالك، ولذا قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۞ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾[2]، وقوله ﷺ **[إيّاكم والجلوس على الطرقات، قالوا: يا رسول الله، مجالسنا مالنا بُدٌّ منها، قال: فإن كنتم لابد فاعلين فأعطوا الطريق حَقهُ، قالوا: وما حَقَهُ؟ قال: غضُّ البصر، وكفُّ الأذى، وردُّ السلام]**[3]، والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان فإنّ النظرة تولد خطرة، ثم تولد الخطرة فكرة، ثم تولد الفكرة شهوة، ثم تولد الشهوة إرادة ثم تقوى فتصير عزيمة

---

[1]) سورة الأنعام من الآية ١٠٨ .

[2]) ينظر: تفسير القرآن الحكيم، لمحمد رشيد رضا ٢٤ ، ٣٨ ، ٣٩ ؛ ومواهب الرحمن، لعبد الكريم المدرس ١٨ ، ٥١ .

[3]) سورة النور الآيتان ٣٠ ، ٣١ .

[4]) صحيح البخاري ٢ ، ٨٧٠ كتاب المظالم باب أفنية الدور برقم ٢٣٣٣).

جازمة فيقع الفعل ولابد، ما لم يمنع منه مانع، وفي هذا قيل: الصبر على غضُّ البصر أيسر من الصبر على ما بعده، قال الشاعر:

كُلُّ الحوادث مبدؤهـا من النظر ومعظمُ النّار من مُستصغر الشَّررِ

كم نظرة بلغت من قلبٍ صاحبها كَمَبلَغ السَّـهمِ بين القوْسِ والوَتَرِ)

وإن الاسترسال بالنظر يُثير الشَّهوة ويورث الحَسرات، والزفرات، والحرقات فيرى العبد ما ليس قادرًا عليه إ ا لحرمتـه أو لامتناعـه أو لأسباب أخرى كثيرة ولا صابرًا عنه لشدة شهوته وحاجته إليه وهذا من أعظم العذاب أن ترى مالا صبر لك عن بعضه ولا قدرة لك عليا .

وأما الطريق المانع من حصول داء الشهوة فأمران:

احدهما: غَضُّ البصر لقوله ﷺ: **| ما من مسلم ينظر إلـى محاسـن إ رأةٍ أول نظرةٍ ثم يغض بصره إلاّ أحدث الله لـه عبـادة يجـدُ حلاوتها ،** ، ومن أطلق لحظاته دامت حسراته، **ومن هذا يتبـين أن في غَضُّ البصر منافع عدة منها:**

. أنه امتثال لأمر الله الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده.

. أنه يكسب القلب نورًا، كما أن إطلاقه يكسبهُ ذ لمةً ولهذا ذكر سبحانه آية النور عقيب الأمر بغض النصر فقال : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ

) لم اعثر على قائله.

) ينظر: الجواب الكافي، لابن قيم الجوزية ١٧ ١٨ .

) مسند الإمام أحمد ٢٦٤ برقم ٢٣٣٢).

أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ ، ثم قال إثر ذلك: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ .

. أن غض ا صر يقوي القلب ويفرحه كما أن إطلاقه يضعفه.

. غَضُّ البصر يورث أُنسًا بالله، وإطلاقه يفرق القلب ويُشتتهُ ويبعده من الله ويوقع الوحشة بين العبد وربّه.

. يمنع من وصول أثر السُمِّ المسموم الذي لعلّ فيه هلاكه إلى قلبه.

. أنه يورث فراسة صادقة والتي يمكن أن يُميز بها ؛ ن الحق والباطل والصادق والكاذب.

. أنه يورثُ القلب شجاعة وثباتًا وقوة ويجمع الله له بين سلطان البصيرة والحجة.

. يَسدُ على الشيطان مدخله إلى القلب فإنه يدخل مع النظرة وينفذ معها إلى القلب أسرع من نفوذ الهواء.

. أنه يفرغ القلب للفكرة في مصالحه والاشتغال بها وإطلاق البصر ينسيه ذلك، ويحول بينه وبينه، فيتفرط عليه أمره، ويقع في إتباع هواه وفي الغفلة عن ذكر ربه قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ .

) سورة النور من الآية ٣٠ .

) سورة النور من الآية ٣٥ .

) سورة الكهف من الآية ٢٨ .

- . أن بين العين والقلب منفذاً يوجب إنتقال احدهما لى الآخر فأما يصلح بصلاحه أو يفسد بفساده.

فهذه إشارة إلى بعض فوائد غض البصر.

الثاني: قوة صبر وعزم يتمكن بهما من هذا الفعل والترك فكثير ما يعرف الرجل قدر التفاوت ولكن يأبى له ضعف نفسه وهمته وعزيمته على إيثار أشياء لا تنفع من جشعه وحرصه ووضاعة نفسه .

) ينظر: الجواب الكافي، لابن قيم الجوزية ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦ .

المبحث الثاني

حُبُّ الدّنيا وشهواتها

قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ .

الناظر إلى نظم الآية - أعلاه - والتي بعدها يجد أنّ الله تعالى لما عَدّد نعم الدنيا بين في الآية اللاحقة أن منافع الآخرة خير منها ، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ، فإذا كان متاعهم في الدنيا حرثا معطيًا مخصبًا ففي الآخرة جنات كاملة تجري من تحتها الأنهار، وهي فوق هذا خالدة وهم فيها خالدون، لا كالحرث المحدود الميقات! وإذا كان متاعهم في الدنيا نساء وبنين ففي الآخرة أزواج مطهرة، وفي طهارتها فضل وارتفاع على شهوات الأرض في الحياة ! .

) سورة آل عمران الآية ١٤ .

) ينظر: مفاتح الغيب، للرازي ٨/ ١٣٠؛ واللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي ٥/ ٣٠٠ .

) سورة الأعلى الآية ١٧ .

أما الخيل المسومة والأنعام والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة فقد كانت في الدنيا وسائل لتحقيق متاع أما في نعيم الآخرة فلا حاجة إلى الوسائل لبلوغ الغايات! ثم هنالك ما هو أكبر من كل متاع ... هنالك (رضوان من الله) رضوان يعدل الحياة الدنيا والآخرة كليهما .

وقال ابن عطية: هذه الآية والتي بعدها نظير قوله (عليه الصلاة والسلام): [**تنكح المرأة لأربع: لمالها وحَسَبِهَا وجمالِها ودينِها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**] ، فهو مثالٌ لقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ [ ] ، أما قوله ﷺ: [**فاظفر بذات الدين تربت يداك**] فهو مثالٌ لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ .

وقد ذكر الله تعالى هذه الآية تسلية عن الدنيا وتقوية لنفوس تاركيه [ ] ، أما الآية التي قبلها فقد جمع فيها السياق القرآني حب شهوات

) ينظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب ٢ ٧٥٢ .

[ ] صحيح البخاري ١٩٥٨ كتاب النكاح باب الأكفاء في الدين برقم ٥٠٨٠).

٢) سورة آل عمران الآية ١٤ .

) سورة آل عمران الآية ١٥ .

[ ] ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية ١٠ .

الأرض إلى نفس الإنسان النساء والبنين والأموال المكدسة، والخيل والأرض المخصبة، والأنعام والحرث، وهي خلاصة للرغائب الأرضية إمّا بذاتها وإمّا بما تستطيع أن توفره لأصحابها من لذائذ أخرى . فبعد الوقوف على نظم الآية وبيان مناسبتها سأقف وقفة موضوعية مـ ها في أثناء تقسيمها إلى خمسة مطالب.

المطلب الأول

شهوة حب النساء

قال تعالى: ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾ [1] ، قد يَحبُّ الإنسان الشيء وهو يراه من الشَّيْن لا من الزَّيْن ومن الضار لا من النافع وَيوَدُّ لَوْ لمْ يكن يحبُّه ومثل ذلك، حب المسلم لبعض المحرمات أو بـ بِّ بعض الناس (للدخان) مع أذيّته، فكل من هذين المُحبيّن يَوَدُّ لو انقلب حُبّهُ كرها وبغضًا إذ من أحب شيئًا ولم يزيّنِ له يوشك ان يتراجع عنه يومًا بخلاف من زُيِّن له حُبّهُ لشيء فلا يكاد يتراجع عنه لأن ذلك منتهى الحب وصاحبه لا يكاد يفطن لقبحه وضرره إن كان قبيحًا أو ضارًا وإن تأذى با [2] ، لأنه مُزيّن في

---

[1] ينظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب [3] ٧٣ .

[2] سورة آل عمران من الآية ١٤ .

[3] ينظر: تفسير القرآن الحكيم، لمحمد رشيد رضا [4] ٣٨ .

نفسه، فحب النساء أصل قائم في النفس لا يتغير بتغير الأزمان واختلاف الأمم، فهن رغبة الرجال من جميع الشعوب ... الأغنياء والفقراء .

وقد بدأ الله تعالى بحب (النساء) أولاً لأن حُبهنّ لا يعلوه حُبّ لشيء آخر من متع الحياة الدنيا إذ إنَهُنّ مطمع النظر وموضع الرغبة وسكن النفس ومنتهى الإنس قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ .

وعليهن ينفق أكثر ما يكسب الرجال في كدّهم وكدحهم فكم افتقر في حُبهّن غني، وكم ارتفع في طلب قربهن وضيع .

لذا قال رسول الله ﷺ: [**ما تركت بعدي فتنة أضرُّ على الرّجال من النساء**] ، فأمّا إذا كان القصد بهن الإعفاف وكثرة الأولاد فهذا مطلوب مرغوب فيه مندوب إليا .

) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، لـ د الكريم الخطيب ٢ ١٤ .

) سورة الروم من الآية ١ .

) ينظر: تفسير المراغي ٢ ٠٨ .

) صحيح البخاري ١٩٥٩ كتاب النكاح باب ما يُتقى من شؤم المرأة برقم ٨٠٨).

) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٥٢ .

يقال في النساء فتنتان وفي الأولاد فتنة واحدة.

فأمّا اللتان في النساء:

فإحداهما: أن تؤدي إلى قطع الرَّحم، لأن المرأة تأمر زوجها بالقطيعةِ عن الأمهات والأخوات.

والثانية: يبتلى بجمع المال.

وأما فتنة البنون فهي جمع المال لأجلهم .

قال القرطبي: في هذه الآية أربعة أصناف من المال، كل نوع منهما يتمَوّل به صنف من الناس، أما الذهب والفضة فيتمول به التجار، وأمّا الخيل المسومة فيتمول بها الملوك، وأمّا الأنعام فيتمول بها أهل البوادي، وأمّا الحرث فيتمول به أهل البساتين فتكون فتنة كل صنف في النوع الذي يتموّل بهِ، وأمّا النساء ففتنة الجميع .

وقُدِّمَ حُبُّ النساء على حبّ الأولاد مع أن حُبَهَنَّ قد يزول وحب الأولاد لا يزول لأن حُب الولد لا يعظم فيه الغُلوَّ والإسراف كحُب المرأة، فكم في – هذا العصر – من رجل جنى حُبّه للمرأة على أولاده فكثيرٌ ممن تزوجوا بأكثر من امرأة أفرطوا في حبّ واحدة وملّوا أخرى،

) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ، ٣: ٤ .

) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي ، ١٠ .

أهملوا – بسبب هذا الحب – تربية أولاد المبغوضة وحرموهم سعة الرزق وقد وَسّعوا على أولاد المحبوبة .

وحتى لا يقع الإنسان في مثل هذه الأخطاء عليه أن يكون مُتزنا في حُبّه للأشياء ومنها النساء وأن يكون له ميزانا يزن به أموره كلها فلا إفراط ولا تفريط. فكل ما سوى المحبوب الحق – الله تعالى – فهو محبوب لغيره وليس شيء يُحبُّ لذاته، إلاّ الله وحده، وكل ما سواه مما يحب فإنما محبته تبع لمحبة الرب تبارك وتعالى ... وهذا موضع يجب الاعتناء به، فإنه مَحَلُّ فرقانٍ بين المحبة النافعة والمحبة الضارة ... فهذا ميزان عادل تزن به موافقة الرب ومخالفته فإذا رأينا شخصًا يحب ما يكره الربّ ويكره ما يحبه علمنا أن فيه من معاداته بحسب ذلك وإذا رأينا شخصًا يحب ما يحب الرب ويكره ما يكرهه علمنا ان فيه من موافقته بحسب ذلك[1]. فَحُبُّ النساء ينبغي أن يكون خاضعًا لهذه القاعدة ولهذا الميزان وهذا ما كان عليه السلف رحمهم الله تعالى فقد كانوا لا يقدمون على حب الله تعالى ورسوله حب ولذا فكل حب لا يوافق مراد الله ورسوله حب مذموم. (وأعقل النّاس من آثر لذته وراحته في الآجلة الدائمة على العاجلة المنقضية الزائلة.

وأسفه الخلق: من باع نعيم الأبد وطيب الحياة الدائمة واللذة العظمى التي لا تنغيص فيها ولا نقص بوجه ما بلذّة منقضية مشوبة بالآلام

---

[1]) ينظر: تفسير المراغي ٢٤ ٩٠ .

[2]) ينظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن قيم الجوزية ٧٣[2] .

والمخاوف، وهي سريعة الزوال وشيكة الانقضاء[1] . ومما يؤكد هذا المعنى ما حكاه لنا القرآن الكريم حيث أخبرنا عن عشق امرأة العزيز ليوسف عليه السلام ومراودتها له والحال التي صار عليها يوسف عليه السلام بصبره وعفته وتقواه مع أن الذي أبتلي به أمر لا يصبر عليه إلا من صَبَّره الله فإن مواقعة الفعل الحرام بحسب قوة الداعي وزوال المانع وكان الداعي ههنا في غاية القوة وذلك من وجوه:

. ما ركبه الله سبحانه في طبع الرجل من ميله للمرأة، كما يميل العطشان إلى الماء والجائع إلى الطعام حتى أن كثيرًا من الناس يصبر على الطعام والشراب ولا يصبر على النساء.

. أن يوسف عليه السلام كان شابًا، وشهوة الشباب وَحدَّته أقوى.

. أنه كان أعزبًا ليس له زوجةٌ ولا جارية تكسر شهوته.

. أنه كان في بلاد غربة، حيث يتأتّى للغريب فيها من قضاء الوطر مالا يتأتّى له في وطنه وأهله ومعارفه.

. أن المرأة كانت ذات منصب وجمال بحيث أن كل واحد من هذين الأمرين يدعو إلى مواقعتها.

. أن المرأة غير ممتنعة ولا أبيّةٍ فإن كثيرًا من الناس يزيل رغبتهُ في المرأة إباؤها وامتناعها لما يجد في نفسه من ذل الخضوع والسؤال لها.

---

[1] المصدر نفسه ٧٢ .

٢. أنها طلبت و رادت وأودت وبذلت الجهد وغلّقت الأبـواب وغيَّبـت الرقباء.

٣. أنه في دارها وتحت سلطانها وقهرها بحيث يخشى إن لم يطاوعهـا من عقو تها له فاجتمع داعي الرغبة والرهبة.

٤. أنه كان في الظاهر كان مملوكا لها في الدار.

٥. أنها استعانت عليه بأئمة المكر والاحتيال فأرته إياهُنَّ وشكت حالها إليهنّ لتستعين بهِنّ عليه، فاستعان هو بالله عليهنّ وقال: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ .

ومع هذه الدواعي كلها آثر مرضاة الله وخوفه وحمله حُبَّه لله على أن يختار السِّجن على الزنا فقال: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ .

وعلم أنّ لا يطيق صرف ذلك عن نفسه فلجأ إلـى الله وسـأله أن يعصمه ويصرف كيدهنّ وإلاّ صَبا إليْهنّ بطبعه وفطرتـه وكـان مـن الجاهلين وهذا من كمال معرفته بربه وبنفسه عليه السلام . وهكذا يجب ان

) سورة يوسف من الآية ٣٣ .

) سورة يوسف من الآية ٣٣ .

) ينظر: الجواب الكافي، لابن قيم الجوزية ٩٢، ٩٣ .

يكون المؤمن خائفا لربه مؤثرة على هواه كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۞ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ .

المطلب الثاني

شهوة حُبِّ البنين

قال تعالى: ﴿وَالْبَنِينَ﴾ ، البنين مفردها ابن، قال الله تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ ، ويقال عنه في التصغير بُني ، كما قال لقمان في قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ، وفي الخبر أنَّ النبي ﷺ قال للأشعث بن قيس: **[هل لك من ابنة جمد من ولد؟ قال: نعم، لي منها غلام، ولوددت أنّ لي به جفنةً من طعام أطعمها من بقي من بني جَبَلة، فقال النبي ﷺ: لئن قلت ذلك،**

) سورة النازعات الآيتان ٠: ١٠ .

) سورة هود من الآية ٥٠ .

) ينظر:الجامع لأحكام القرآن،للقرطبي ١٠ ٦ ؛واللباب في علوم الكتاب،لأبي حفص عمر بن علي ١٠ ٤٠ .

) سورة لقمان من الآية ٣ .

إنهم لثمرة القلوب، وقرة الأعين، وإنهم ـ ع ذلك لَمَجْبنـ ـةٌ مبخلـةٌ محزنةٌ[1].

والبنين: يراد بها الذكران، وقيل يشمل البنات وغُلِّب التذكير لقلَّةِ الرغبة فيهن[2].

وعلى هذا فان المراد بالبنين الأولاد مطلقًا كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[3]، ولِعلة في حب النساء وحب الولد واحدة وهي تسلسل النسل وبقاء النوع وهي حكمة مطردة في غير الإنسان من الحيوانات الأخرى.

وحب الذكر أقوى من حب الأنثى يعود لأسباب كثيرة منها:

1. أن الذكور عمود النسل الذي به تتصل سلسلة النسل، وبه يبقى ما يحرص عليه الإنسان من بقاء الذكر وحُسن الحديث بين الناس.
2. أمل الوالد في كفالتهم له حين الحاجة إليه بضعف أو كِبر.
3. أنه يرجى بهم من الشّرف مالا يرجى من الإناث كنبوغ في علم أو عمل أو رياسة أو قيادة جيش للدفاع عن الوطن وحِفظ كيان الأمة.

---

[1] المستدرك على الصحيحين، للإمام الحاكم: ٢٣٩ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

[2] ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: ١٥؛ ومواهب الرحمن، لعبد الكريم المدرس: ٥١.

[3] سورة التغابن من الآية ٥.

. الشعور بأن الأنثى حين الكِبر تنفصل من عشيرتها وتتصل بعشيرة أخرى .

فمن تأمل هذه الفروق الوجودية وإن لم تكن كلها طبيعية ظهر له وجه تخصيص البنين بالذكر ووجه كمال التمتع بهم وكونهم هم الذين قد يغتر بهم الوالد حتى يستغنى بهم أو يُشتغل بهم وبالجمع لهم عن الحق وينسى الآخرة، على أنّ حُبّ الوالد الخالص للبنات قد يكون مساويا أو أقوى من حب البنين ولكن ما يُغذّيه ويُقويّه أقل فهو مثار للفتنة أيضًا كما قال تعالى: : ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ فذكر الأولاد عامة، ولذلك قلنا بأن تخصيص بالذكر ليس للحصر.

وقال الأستاذ محمد عبده: لمحبة الولد طوران:

الأول: في الصغر وهو حب ذاتي لهم لا علة ولا فكر فيه ولا عقل رأي، بل هو جنون فطري ورحمة ربّانيّة عامّة جميع الحيوانات.

والثاني: حب معلول معه فكر وهو المراد بالآية، وهو حب الأمل والرجاء بالولد ولذلك كان خاصا بالبنين وإنما الحب على قدر الأمل[2] .

) ينظر: تفسير المراغي ١٠٩، ١٠ .

[2]) ينظر: تفسير القرآن الحكيم، : محمد رشيد رضا ٢ ٤٣[2] .

المطلب الثالث

شهوة حب القناطير المقنطرة من الذهب والفضة

قوله تعالى: ﴿الْقَنَاطِيرِ﴾ القناطير: جمع قنطار كما قال تعالى: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً﴾ [1] وهو العقدة الكبيرة من المال.

وقيل: هو اسم للمعيار الذي يوزن به كما هو الرِّطْلُ والرُّبْع، ويقال لما بلَغ ذلك الوزن: هذا قنطار أي يعدل القنطار. والعرب تقول: قَنْطَر الرجلُ: إذا بلغ ماله بما يساوي القنطار [2].

قال الزجاج: القنطار مأخوذ من عقد الشيء وإحكامه تقول العرب: قنطرت الشيء إذا أحكمته ومنه سميت القنطرة لإحكامها [3]، قال طرفةُ:

كَقَنطَرة الروُّميّ أقْسَمَ رَبُّها لتُكْتَنَفنْ حتى نُشادَ بِقَرْمَدِ [4]

والقنطرة: المعقودة، فكأنّ القنطار عَقْدُ مال.

و ختلف العلماء في تحرير حدّهِ كم هو على أقوال عديدة واخترنا من بين هذه الأقوال ما رواه أُبيّ بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه ـ ال:

---

[1] سورة النساء من الآية ٢٠.

[2] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٤ ٦٠.

[3] معاني القرآن ٢٨٣.

[4] ديوان طرفة ٥٠.

[**القنطار ألف أوقيةٍ ومئتا أوقية**] ، وبه قال معاذ بن جبل، وعبد الله بن عمر وأبو هريرة ﷺ، وجماعة من العلماء، وهو أصح الأقوال، لكن القنطار على هذا يختلف باختلاف البلاد في قَدر الأُوقيَّة .

واختلف العلماء في معنى (المُقنطرة)، قال الطبري: معناه المُضَعَّفةُ، وكأن القناطيرُ ثلاثةُ والمقنطرة تسعة .

وروي عن الفرّاء أنه قال: القناطير جمع القنطار، والمقنطرة جمع الجمع فيكون تسع قناطير .

وقال السدي (المقنطرة): المضروبة حتى صارت دنانير أو دراهم، وقال مكي: المقنطرة المُكَمَّلة .

و(المقنطرة) على وزن منفعلة من القنطار وهو للتأكيد كقولنا: إلف مؤلفة، وإبل مؤبَّلة ودراهم مدرهمة .

وقوله تعالى: ﴿مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾ .

) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ، وقال: هذا حديث منكر، والأقرب أن يكون موقوفا على أبيّ بن كعب كغيره من الصحابة.

) المحرر الوجيز، لابن عطية .

) جامع البيان في تأويل القرآن ، .

) ينظر: معاني القرآن، للفراء .

) المحرر الوجيز، لابن عطية .

) ينظر: مفاتح الغيب، للرازي ، .

(الذهب): لفظة مؤنثة يُ ال: هي الذَّهب الحسنة، جمعها ذهاب وذهوب ويجوز أن يكون جمعه ذهبة، والذهب: مكيال لأهل اليمن.

و(الفضة): معروفة وجمعها فضض ، فالذهب مأخوذ من الذهاب والفضة مأخوذة من انفضاض الشيء وتفرُّقهُ ومنه قيل: فضضت القوم فانفضّوا أي: فرقتهم فتفرَّقو[1] .

وهذا الاشتقاق لفظي (الذهب والفضة) يُشعر بزوالهما وذهابهما وهذا ما أثبته العلم الحديث أيضًا إذ إن لكل من الذهب والفضة عمر ينتهي به نصفهما يسمى بالمصطلح العلمي (بعمر النصف) وهو العمر الذي يتحول فيه العنصر إلى مواد مشعة، والذي يلفت الانتباه من هذه الاشتقاقات مناسبتها للسي ق القرآني إذ إن السياق يتحدث عن شهوات الدنيا الزائلة ومقارنتها بالآخرة التي هي دار الخلود والقرار.

و﴿الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾ يشعر بالكثرة التي تكون مظنة الافتتان والتي تشغل القلب للتمتع بها وتستغرق في تدبيرها الوقت الكثير ، ولذا كان الأغنياء في كل الأمم لدى بعثة الرسل أول الكافرين بهم والمستكبرين عن تلبية دعوة الله وان استجابوا فهم أقل الناس عملاً وعطاءًا كما قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ

[1]) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس ٦٠ .

[1]) ينظر: معالم التن يل، للبغوي ٨٤ .

لَنَا﴾ ، وحبُّ المال غريزة أودعت في قلوب البشر ودمهم ولحمهم كما قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [1] ، والسِرُّ في ذلك أن المال وسيلة إلى جلب الرغائب، وسبيل إلى نيل اللذات والشهوات، ورغبات الإنسان غير محدودة ولذاته لا عدّ لها ولا حصر فهو كلما حصل على لذة طلب الأخرى وكلما وصل إلى غاية في جمع المال إلا تاقت نفسه إلى أكثر منها، حتى أنه ليصل به الحال أحيانا إلى أنّه لا يبالي في كسبه أمِن الحلال أم الحرام؟

عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **[لو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى أن يكون لهما ثالث، ، لا يملأ جوف ابن آدم إلاّ التراب، ويتوب الله على من تاب]** [2] . ان نهم المال هو الذي ترسمه القناطير المقنطرة ولو كان يريد مجرد الميل إلى المال لقال: والأموال والذهب والفضة ... ذلك أن تكديس المال ذاته شهوة بغض النظر عما يستطيع المال توفيره لصاحبه من الشهوات ا خرى [3] .

---

[1]) سورة الفتح من الآية ١ .

[2]) سورة الفجر الآية ٢٠ .

[3]) سنن الترمذي . ٥٦٩ كتاب الزهد باب ما جاء لو كان لابن آدم واديان من مال برقم ٣٣٧٢).

[4]) ينظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب ٦ ٣٧٤ .

وقد شغلت فتنة المال عن حقوق الله وحقوق الأمَّة والوطن، بل عن حقوق من يعاملهم من الأهل والعيال ومنهم من يُقصر في النفقة حتى على نفسه وعياله بالقدر الذي يزدري بمروءته فيظهر بمظهر المسترذل من الناس . ومن هذا يتبين مدى تأثير هذه الشهوة إذا لم توضع في موضعها المناسب إذ لا إفراط ولا تفريط فهي وسيلة وليست غاية.

المطلب الرابع

شهوة حُبُّ الخَيْل المُسَوَّمة والأنعام

الخيل مؤنثة، واحد الخيل، خائل مثل: طائر وطير ، وضائن وضين وسُمّي الفرس بذلك لأنه يختال في مشيته وهو اسم جمع لا واحد من لفظه واحدة فرس كالقوم والرهط والنساء والإبل ونحوه . ولرباط الخيل فضل عظيم ومنزلة شريفة، وكان لعروة البارقيِّ سبعون فرسًا مُعدّة للجهاد والمستحب منها الإناث، فإنّ الأنثى بطنها كنزٌ وظهرها عِزٌّ وفرس جبريل عليه السلام كان أنثى [1] ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله

---

[1] ينظر: تفسير القرآن الحكيم، لمحمد رشيد رضا [2] ٤٣ ؛ وتفسير المراغي ١٠ ، ١١ .

[1] ينظر: إعراب القرآن، للنحاس ٦٠ ؛ والمحرر الوجيز، لابن عطية ٠٩ .

[2] أحكام القرآن، لابن العربي [1] ٦٣ .

ﷺ قال: **[الخيل ثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، ولرجل وزر]** ، ولم يَخُصَّ ذكرًا من أنثى، وأجودها أعظمها أجرًا وأكثرها نفعً .

وعن أبي وهب الجُشميّ قال: قال رسول الله ﷺ: **[تَسمَّوا بأسماء الأنبياء، وأحَبُّ الأسماء إلى الله ﷻ ، عبد الله، وعبد الرحمن، وارتبطوا الخيل، وامسحوا بنواصيها وأكفالها، وقلِّدوها ولا تقلِّدوها الأوتار، وعليكم بكل كُمَيْتٍ أغرَّ مُحَجّل، أو أشقر أغَرَّ مُحجَّل أو أدهم أغَرّ مُحَجّل]** . عن أبي هريرة ﷺ قال: **[كان رسول الله ﷺ يكره الشِّكال من الخيل، والشّكال: أن يكون الفرس في رجله اليمنى بياض وفي يده اليسرى أو في يده اليمنى ورجله اليسرى]** .

ولمّا كانت الخيل هي أصل الحروب وأوزارها، عُقدِ الخيرُ في نواصيها، وهي أقوى القوة وأشدُّ العِدّةِ وحصون الفرسان وبها يجال في الميد ن خصها بالذكر تشريفًا واقسم بغبارها تكريمً ، فقال: ﴿**وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً**﴾ .

) صحيح مسلم ، ٦٨٠ كتاب الزكاة باب أثم مانع الزكاة برقم ١٨٧).

) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ، ١٨ .

) سنن أبي داود ، ٧٠٥ كتاب الأدب باب في تغيير الأسماء برقم ٩٥.).

) صحيح مسلم ، ١٤٩٤ كتاب الإمارة باب ما يكره من صفات الخيل برقم ٨٧٥).

) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ، ١٩ .

) سورة العاديات الآية .

(والأنعام) جمع نَعَم فإذا قلت: نَعَمٌ لم تكن إلاّ للإبل وإذا قلت أنعام وقعت للإبل وكل ما يرعى ، قال الهَرَويّ: النِّعم يذكر ويؤنث، والأنعام المواشي من الإبل والبقر والغنم ، ولِنّعم فهو للإبل خاصة[1]. وقال حسان:

وكانت لا يزال بها أنيسٌ خلال مُروجِها نَعَمٌ وشاءُ[2]

وعن عروة البارقيّ يرفعه إلى رسول الله ﷺ قال: [**الإبل عزّ لأهلها والغنم بركة، والخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة**][3].

وعن أم هانئ أنّ النبي ﷺ قال لها: [**اتّخذي غَنمًا، فإن فيها بركة**][4].

(والأنعام): مال أهل البادية منها تكون ثروتهم ومعايشهم ومرافقهم وبها تفاخرهم وتكاثرهم وقد امتن الله به على عباده بقوله: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ

---

[1]) إعراب القرآن، للنحاس ٦٠ .

[2]) نظر: تهذيب اللغة، للأزهري ٣ .

[3]) ديوان حسان بن ثابت ١٨ .

[4]) سنن ابن ماجه ٧٧٣ كتاب التجارات باب اتخاذ الماشية برقم ٣٠٥).

[5]) سنن ابن ماجه ٧٧٣ كتاب التجارات باب اتخاذ الماشية برقم ٣٠٤).

تَسْرَحُونَ ۞ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [1].

والخيل المسوّمة أنموذج للمراكب الطيِّبة التي تجمع بين البهجة والمُتعة وأما الأنعام فأنموذج آخر لمتعة العين وبهجتها لهذا المال المتحرك في الأنعام والمزدهر الثمر في الزروع والجنات [2].

والخيل محبوبة مرغوبة في العصور الماضية وفيما بعدها، لم ينسها ما تفنن فيه البشر من صنوف المراكب برّاً وبحرًا وجوًا فالأمم المتحضرة اليوم مع ما لديهم من القطارات ومن سفن البحر العظيمة، ومن السيارات الصغيرة، ومن الطيارات في الهواء، كل ذلك لم يغن الناس عن ركوب ظهور الخيل والعناية بمسابقات الخيل [3].

(المُسَوَّمَةَ): يعني الراعية في المروج والمسارح، قال سعيد بن جبير يقال: ساحة الدابّة والشاة إذا سرحت لتسوم سومًا فهي سائمة، وأسمتها إذا تركتها لذلك [4].

---

[1] سورة النحل الآيات ٦، ٧، ٨.

[2] التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب ٧/ ١٤.

[3] ينظر: تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور ١٤/ ٨٢.

[4] ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية ٣/ ٥٠٩.

وعن علي ﷺ قال: | **نهى رسول الله ﷺ عن السَّوم قبل طلوع الشمس وعن ذبح ذوات الدَّرِّ** [1] ، والسّوم هنا في معنى الرعي، قال تعالى: ﴿ **وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ** ﴾ [2] .

قال الأخطلْ:

مِثلُ ابن بَزْعةَ أو كآخر مِثلِه أولى لك ابنَ مُسِيَمةِ الأجمال [3]

أراد: ابن راعية الإبل، والسوام كل بهيمة ترعى، وقيل المعدّة للجهاد، وقال ابن مجاهد: المسوَّمة أي مطهَّمة الحسان.

وروي عن ابن عباس ﷺ أنه قال: المسوَّمة: المعلمة بشيات الخيل في وجوهها، من السّيما وهي العلامة [4] .

---

[1] سنن ابن ماجه [2] ٧٤٤ كتاب التجارات باب السَّوم برقم ٢٠٦٢ [3]).

[2] سورة النحل من الآية ١٠ .

[3] ديوان الأخطل ٥٩ .

[4] ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية ٥٠٩: ١٠.

المطلب الخامس

شهوة حُبّ الحرث

(الحرث): هي الأرض المهيأة للزراعة ، والحرث هنا إسم لكل ما يحرث، وهو مصدر سُمّي به، تقول: حَرَث الرّجلُ حرثًا: إذا أثارَ الأرض لمعنى الفلاحة، فيقع اسم الحراثة على زرع الحبوب وغير ذلك من نوع الفلاحة ، على اختلاف أنواعه والذي عليه قوام حياة الإنسان والحيوان في البدو والحضر، وإنما جعله آخر الأنواع في الذكر على أنه أولها في شدة الحاجة إليه لأنه لما كان لارتفاق به أعم كانت زينته في القلوب أقل وقلما يكون الانتفاع به صادّا عن الاستعداد لأعمال الآخرة أو مانعًا عن نصرة الحق وهناك ما هو أعم نفعًا وأعظم فائدة في الحياة وهو الضوء والهواء، فلا يستغنى عنهما حيّ من الأحياء ومع ذلك قلّما يلتفت الإنسان إليهما ولا يفكر في غبطته بهما[1].

---

[1]) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للنيسابوري ١٩.

[2]) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٤؛ وتفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور ٨٣.

[3]) ينظر: تفسير القرآن الحكيم، لمحمد رشيد رضا ٤٥.

المبحث الثالث

أفضلية الآخرة ونعيمها

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ .

الملاحظ في هذه الآية أن الله تعالى بدأ أولاً بذكر المقر وهو الجنات التي قال عنها: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ ، ثم انتقل من ذكرها إلى ذكر ما يحصل به الأُنس التامّ من الزواج المطهرة ثم انتقل من ذلك إلى ما هو أعظم الأشياء وهو رضا الله عنهم فحصل بمجموع ذلك اللذة الجسمية والفرح الروحاني حيث علم برضا الله عنا[1]. وسأقف – إن شاء الله – عند كل نعمة من نِعم الجنة ليتبين البون الشاسع بين شهوات الدنيا الزائفة الزائلة وبين الجنة التي لم ترها عين ولم تسمع بها أذن ولم تخطر على قلب بشر بعد وقوفنا على نظم الآية وبيان مناسبتها

---

[1]) سورة آل عمران الآية ١٥ .

[2]) سورة الزخرف من الآية ٧١ .

[3]) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان ٧/ ٢١٧ .

سنبين أوجه أفضليتها على حب الدنيا وشهواتها في أثناء تقسيمها على ثلاثة مطالب وكما يأتي:

المطلب الأول

أفضلية الجنات والأنهار الجارية

قوله تعالى: ﴿ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ .

الجنّات: البساتين وسميت جَنّات لأنَّها تُجِنُّ من فيها أي: تستره بشجره .

والجنّة: البستان والشجر المتكاثف المظلَّل بالتفاف أغصانه وسميت الجنة بدار الثواب لأنها تشتمل على جنّات كثيرة مرتبة على مراتب حسب استحقاقات العاملين .

والجنان في الآخرة أربع كما قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾، ولم يَذكر سوى هذه الأربع، وأما

) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٢٩٥ .

) ينظر: مفاتح الغيب، للرازي ٤٠ .

) سورة الرحمن الآية ٦ .

) سورة الرحمن الآية ١٢ .

قوله تعالى: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ [1] فهي اسم لجميع الجنان بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [2].

والجنة: اسم جنس فمرة يقال: جنة ومرة يقال: جنات وكذلك جنة عدن وجنات عدن، لأن العدن الإقامة وكلها دار للإقامة كما أن كل الجنان دار المؤمنين وكذلك دار الخلد، ودار السلام ... فعلمنا أن هذه الأسماء ليست لتمييز جنة عن جنة ولكنها للجنان أجمع لاسيمّا وقد أتى الله بذكر عدد الجنات فلم يثبت إلاّ أربعًا وقد أثبتت لهذه الجنات أبوبا فقال: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [3]، وثبت ان هذه الأبواب ثمانية، فيحتمل أن يكون لكل جنة بابان، [4] وصف أهل الجنة وصنفهم صنفين أحدهما السابقون المقربون والآخرون أصحاب اليمين فعلمنا أن السابقين أهل الجنة العليين في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ وأهل اليمين هم أهل الجنة الدّنيين [5]، في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [6].

---

[1]) سورة النجم الآية ١٥ .

[2]) سورة السجدة من الآية ١٩ .

[3]) سورة الزمر من الآية ٧٣ .

[4]) ينظر: المنتقى من كتاب التذكرة، لابن قيم الجوزية ٢١٠ ٢١١ .

لباس أهل الجنة الحرير وحلّيهم الذهب، كما قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[1] ، وقوله تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾[2] .

والاستبرق: الديباج الصفيق الكثيف، والسندس: الخفيف الرقيق، وخُصَّ اللون الأخضر لأنه يوافق البصر ويستحسنه.

وقوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾[3] ، والأساور جمع أسورة ولما كانت الملوك تلبس في الدنيا الأساور والتيجان جعل الله ذلك لأهل الجنة إذ هم ملوك الآخرة[4] .

ومما روي عن رسول الله ﷺ في وصف أشجار الجنة وثمارها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه إذ قال: قال رسول الله صلى: **[يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرأوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[5] ، وفي الجنة شجر يسير الراكب في ظلّها مائة عام لا يقطعها، واقرأوا إن**

---

[1] سورة الحج من الآية ٢٣ .

[2] سورة الكهف من الآية ٣١ .

[3] سورة الكهف من الآية ٣١ .

[4] ينظر: المنتقى من كتاب التذكرة، لابن قيم الجوزية ٢١٢ .

[5] سورة السجدة من الآية ١٧ .

شئتم: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [1].

ومن حديث بن عباس ﷺ في صلاة الكسوف. قالوا: [**يا رسول الله رأيناك تناولت في مقامك شيئًا ثم رأيناك تكعكعت قال ﷺ: إنّي رأيت الجنة فتناولت منها عنقودًا ولو أخذت لأكلتم فيه ما بقيت الدنيا**] [2].

ومما روي في خيام الجنة وأسواقها ما رواه أبو موسى الأشعري ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: [**في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً، في كل زاوية فيها أهل للمؤمن ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمن**] [3].

وعن انس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: [**إن في الجنّة لسوقًا يأتونها كل جمعة، فتهبُّ ريحُ الشمال، فتحثوا في وجوهم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالاً فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسنًا وجمالاً،**

---

[1] سورة آل عمران من الآية ٨٥ .

[2] سنن النسائي الكبرى ١ ٣١٧ كتاب التفسير، سورة آل عمران برقم ١٠٨٥).

[3] صحيح البخاري ٢٦١ كتاب صفة الصلاة باب رفع البصر إلى الإمام في الصلاة برقم ٧١٥).

[4] صحيح البخاري ٨٤٩ كتاب التفسير سورة الرحمن برقم ٥٩٨).

فيقولُ لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالاً فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالاً [1].

وقد جاء في صفة أهل الجنة ومراتبهم وصورهم وأمشاطهم وعَرقهم وأزواجهم أحاديث منها:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: [**إنّ أول زمرة يدخلون الجنة من أمتي على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشدِّ كوكب دري في السماء إضاءة**] وفي رواية [**ثم هم بعد هذا منازل لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون، أمشاطهم الذَّهب**] وفي رواية: [**الفضّة، ورشحهم المسك ومجامرهم الأَلوَّة وأزواجهم الحور العين**] وفي رواية: [**لكل واحدٍ منهم زوجتان، يرى مخ ساقيهما من وراء اللحم من الحسن لا إختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحدٍ يسبحّون بالله بكرة وعشيًّا**] وفي رواية: [**على صورة أبيهم ستون ذراعاً في السَّماء**] [2].

فأي مقارنة يمكن أن تكون بين جنة وانهار هذا شأنها فضلا عن خلودها وبين أشجار الدنيا وأنهارها الزائلة الوضيعة.

---

[1] صحيح مسلم ، ٢١٧٨ كتاب الجنة وصفة نعيمها باب في سوق الجنة برقم ٨٣٣).

[2] صحيح مسلم ، ٢١٧٨ كتاب الجنة وصفة نعيمها باب أول زمرة تدخل الجنة برقم ٨٣٤).

قوله (من تحتها) أي: من تحت أشجارها ولم تذكر الأشجار لأن الجنات دالة عليها.

(الأنهار) أي: ماء الأنهار فنسب الجريُ إلى الأنهار تَوسُّعًا وإنما يجري الماء وحده فحذف اختصارًا كما قال تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [1] أي: أهلها [2]، وممّا جاء في انهار الجنة قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [3].

وعن حكيم بن معاوية عن النبي ﷺ قال: [**إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار بعد**] [4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [**سَيْحان وجَيحان، والنّيل والفرات كُلٌّ من أنهار الجنّة**] [5].

---

[1] سورة يوسف من الآية ٨٢.

[2] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٩٥/٢.

[3] سورة محمد من الآية ١٥.

[4] سنن الترمذي ٦٩٩ كتاب صفة الجنة باب صفة انهار الجنة برقم ٢٥٧١).

[5] صحيح مسلم ٢١٨٣ كتاب الجنة وصفة نعيمها باب ما في الدنيا من أنهار والجنة.

وتفجر أنهار الجنة من الفردوس الأعلى والذي هو وسط الجنة وأعلى الجنة كما قال ﷺ: [**إن في الجنةِ مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنها في أوسط الجنة وأعلا الجنةِ، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تُفَجّرُ الجنّة**] .

وقال قتادة: الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأعلاها وأفضلها وارفعها .

المطلب الثاني

أفضلية الأزواج المطهرّة

قال تعالى: ﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ .

الأزواج: جمع زوج، والمرأة زوج الرجل، والرجل زوج المرأة ، وأنشد الفرزدق:

وإنّ الذي يسعى ليُفسدَ زوجتي كساع إلى أُسْد الشَّرى يستبيلُها)

) صحيح البخاري ، ١٠٢٨ كتاب الجهاد والسير باب درجات المجاهدين برقم ٢٦٣٧).

) المنتقى من كتاب التذكرة، للقرطبي ٨٦ .

) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٢٦١ ٢٦٢ .

) ديوان فرزدق ١٠٥ .

مُطهرة: هو وصف جامع لكل مطلوب ويدخل فيه الطهارة من الحيض والنّفاس وسائر الأحوال التي تظهر على النساء في الدنيا مما ينفر عنه الطبع، ويدخل فيه - أيضـ - كونَهُنّ مُطهراتٌ من الأخلاق الذميمة ومن القبح وتشويه الخلقة - ويدخل فيه أيضـ - كونَهُنّ مطهرات من سوء العشرة .

والمطهرة: الخالية من الشوائب الجسمية والنفسية .

وقد وصف الله أزواج الجنّة فقال: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾)

أي: نساء قد قصر طرفَهُنّ على أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم.

قال ابن زيد: (إنّ المرأة مِنهُنّ لتقول لزوجها: وعزَّةُ رَبّي ما أرى في الجنّة شيئًا أحسن منك) .

(عينٌ) أي: عظام العيون .

وقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ .

) مفاتح الغيب، للرازي ١٤ ؛ وينظر: تفسير المراغي ١٤ .

) ينظر: تفسير القرآن الكريم، محمد رشيد رضا ٤٦ .

) سورة الصافات الآية ٤٨ .

) المنتقى من كتاب التذكرة، لابن قيم الجوزية ١٨ .

) المصدر نفسه.

) سورة الصافات الآية ٤٩ .

أي: مصون. وقال الحسن وابن زيد: (شبههن ببيض النّعام تكنُّها النّعامة بريشها من الرّيح والغبار، فلونه أبيض في صفرة وهو أحسن أبواب النساء.

وقيل المراد بالبيض: اللؤلؤ كقوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۞ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [1] أي: في أصدافه[2].

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [3] يعني النساء الواحدة خيرة وأصله خَيِّرات فخفف: كهيّن وليّن.

عن سعيد بن عامر قال: لو أنّ خيِّرة من خيّرات حسان اطلعت من السّماء لإضاءة لها ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر، ولنَصيف تكساه خَيْرةٍ خير من الدنيا وما فيها.

النصف: القناع، وقوله (حسان) أي: حَسن الخلق، وإذا قال الله (حسان) فمن يقدر أن صف حسنهن[4].

عن ابن عباس ﷺ قال: [**إنّ الرجل من أهل الجنةِ ليُعانِق الحوراء سبعين سنة لا يَملُّها ولا تملُّه، كلما أتاها وجدها بكرًا وكلما**

---

[1] سورة الواقعة الآية ٢٣.

[2] جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري ٢٣/ ١٧.

[3] سورة الرحمن الآية ٧٠.

[4] ينظر: المنتقى من كتاب التذكرة، لابن قيم الجوزية ٢١٨.

رجعت إليه عادت إليه شهوتهُ فيما معها بقوة سبعين رجـلاً لا يكـون بينهما مَنِيٍّ منه ولا منها [1] .

وعن معاذ بن جبل ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: **[لا تؤذي امـرأة زوجها في الدنيا إلاّ قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلـك الله فإنّما هو عندك دخيل يوشِك أن يفارقك إلينا]** [2] .

وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: **[لو أنّ امرأةً من أهل الجنـة أطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحًا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها]** [3] .

المطلب الثالث

أفضليـة الرِّضوان مِن الله

الرضوان: مصدر من الرِّضا، يقال: رضيت رضًا ورضوانا، وكما قيل ان للثواب ركنين:

---

[1] الترغيب والترهيب، للمنذري ٣ ٨٩ ؛ وتفسير القرآن العظـيم، لابـن كـثير: ٤ ٥٠ .

[2] سنن الترمذي ٢ ٤٧٦ كتاب الرضاع. برقم ١٧٤). وقال عنه حسن غريب.

[3] صحيح البخاري ٢ ١٠٢٩ كتاب الجهاد والسير باب الحور العين وصفتهن بـرقم ٦٤٣).

أحدهما: المنفعة وهي التي ذكرناها والإشارة هنا إلى الجنات والبنين، والذهب والفضة والتي مرّ ذكرها.

والثاني: التعظيم وهو المراد بالرضوان، ذلك لأن معرفة أهل الجنة مع هذا النعيم المقيم بأن الله تعالى راضٍ عنهم مثنٍ عليهم حامد لهم أزيد في دخول السرور إلى نفوسهم من تلك المنافع.

فالجنات بما فيها من نعيم هي إشارة إلى الجنة الجسمانية، والرضوان هو إشارة إلى الجنة الروحانية، والجنة الروحانية هي أعلى المقامات وهي عبارة عن تجلي نور الله جل جلاله في روح العبد، واستغراق العبد في معرفته، ثم يصير في أول هذه المقامات راضيا عن الله تعالى وفي آخرها مرضيً ، عند الله تعالى والى هذا أشار الله تعالى بقوله: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ۞ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۞ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ .

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ

) ينظر مفاتح الغيب، للرازي ٢٠ ١٤ .

) سورة الفجر الآيات ٧ ٨ ٩ ٣٠ .

الْعَظِيمُ﴾ . والرضوان في هذه الآية على ما يبدو خير من نعيم الجنة وما فيها، وكذا قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [1] .

هذه الآية أوجز من الآية التي نحن في صدد تفسيرها وفيها من زيادة الفائدة بيان جزاء المسرفين والمعتدين في هذه الشهوات الدنيوية [2] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [**إنّ الله تعالى يقول لأهل الجنّة: يا أهل الجنة فيقولون: لبَّيك ربَّنا وسَعْدَيْكَ، والخير في يَدَيْك فيقول: هل رضيتم ؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربّ ؟ وقد أعطيتنا ما لم تعطِ أحدًا من خلقِكَ، فيقول: أفلا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون يا ربُّ أيّ شيءٍ أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رِضواني فلا أسخطُ عليكم بعده أبدًا**] [3] .

فلذة رضوان الله هي اكبر اللذات كلّها وهذا يدُلنا على أن أهل الجنّة طبقات ومراتب كما نراهم في الدنيا. فمن الناس من لا يفهم معنى

---

[1]) سورة التوبة الآية ٧٢ .

[2]) سورة الحديد الآية ٢٠ .

[3]) تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا ٢٨ ٤٨ ٤٩ .

[4]) صحيح مسلم ١ ٣٢ .

الرضوان ولا يكون له باعثًا على ترك الشر ولا على فعل الخير وإنما يفهمون فقط معنى اللذات الحسّية التي جرَّبوها فكانت أحسن الأشياء موقعًا في نفوسهم، ولكن جميع المتقين يعرفون في الآخرة هذه اللذة التي لم يكونوا يعقلون لها معنى في الدنيا .

فاللهم قُرَّ أعينيا بما لم تره عين وشنف أسماعنا بما لم تسمع به أذن وبما لم يخطر على قلب بشر واحلل علينا رضوانك الأكبر فلا تسخط علينا بعده أبدًا اللهم آمين آمين.

) ينظر: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا ٬ ٤٩٬ .

الخاتمة

النتائج والتوصيات

لقد تَم بحمد الله ومنه وحسن توفيقه انجاز هذا البحث وقد خلصت من هذه الجولة العلمية الممتعة بالنتائج الآتية:

١. أَنَّ الاستغراق في شهوات الدنيا ورغائب النفوس هو الذي يشغل القلب عن التبصر والاعتبار ويحجب عنه ما هو ارفع وأعلى.

٢. أَنَّ رأس الخطايا المهلكة هو حب الدنيا، ورأس أسباب النجاة هو التجافي بالقلب عن دار الغرور فكل خطيئة في العالم أصلها حب الدنيا.

٣. من أراد صفاء القلب فليؤثر حب الله على شهواته.

٤. نّ القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقها بالشهوات.

٥. لا يجتمع في قلب المؤمن حبّان فالقلب الذي يفرط في حب الدنيا لا تدخل فيه محبة الله.

٦. أَنَّ حُبّ النساء أصلٌ قائم في النفس لا يتغير بتغير الأزمان وأخلاق الأمم فهنّ رغبة الرّجال من جميع الشعوب.

٧. نّ الله جعل فتنة كل صنف من الناس في النوع الذي يَتَمُول به، ففتنة التجار في الذهب والفضة وفتنة الملوك في الخيل المسومة،

وفتنة أهل البوادي في الأنعام وفتنة الفلاحين في الزراعة، وأما النساء فهي فتنة الجميع.

. كل حب لا يوافق حب الله ورسوله فهو حب مذموم.

. أَنّ حُبّ في الإسلام أعم وأشمل من قصره على حب الرجل للمرأة وبالعكس.

. أَنّ الحب بين الرجل والمرأة جائز في الإسلام ولكن بشروط.

١ . تحريمُ الإسلام لما ظهر في السنوات الأخيرة بما يسمى بـ (عيد الحب) لأن أصل هذا العيد هو عقيدة وثنية رومانية فلا يجوز الاحتفال به.

٢ . أَنّ تزيُن الشهوات لا يضاف إلا إلى الله تعالى إذ هو لا يحث إلاّ على ما هو مشروع سواء كانت شهوة أم غيرها أما الشهوة المحظورة فتزيينها بالمعنى الثاني مضاف إلى الشيطان تنزيلاً لوسوسته وتحسينه لها ويَحُضُّ على تعاطيها.

٣ . أَنَّ النظر هو أصل لعامة الحوادث التي تصيب الإنسان فإن النظرة تُولّدُ خطرة ثم تُولِّدُ الخطرةُ فكرةً، ثم تُولَّد الفكرة شهوة ثم تُولَّد الشهوة إرادة ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة فيقع الفعل.

٤ . أَنَّ من منافع غض البصر أنه يفرغ القلب للتفكير في مصالحه والاشتغال بها وإطلاقه ينسيه ذلك ويحولُ بينه فينفرط عليه أمره ويَقع في أتّباع هواه وفي الغفلة عن ذكر ربّه.

٥ . أَنَّ الخيل المسومة والأنعام والذهب والفضة هي من وسائل الدنيا التي يتحقق بها المتاع أما نعيم الآخرة فلا حاجة به إلى الوسائل لبلوغ الغايات فكل ما في الجنة حاضر ومُعَدّ من دون جهدًا وعمل.

٦ . أنّ اختيار لفظ الذهب والفض ة الوارد في الآية مناسبٌ لسياقها فبدل ان يكونا وسيلة إغراء – كما هو متوقع – صارا وسيلة إعراضٍ عن الدنيا وشهواتها إذ إن اشتقاق الذهب مأخوذ من ذهاب الشيء واشتقاق الفضة من انفضاضها فتأمل ذلك!.

٧ . أَنَّ تكديس المال وتكاثره شهوةٌ وملهاة عن ذكر الله بِغضِّ النظر عن نوعيته وما يستطيع توفيره لصاحبه من الشهوات الأخرى.

٨ . الجنّات في الآخرة أربعٌ وما ورد لها من أسماء كجنة عدن والخلد، ليست من أجل تمييز جنة على جنة ولكنها صفات للجنات أجمع وما بين كل جنة وجنة درجات.

٩ . الرضوان من الله خير من نعيم الجنة وما فيها.

١٠ . أَنّ السبب الرئيس لكل الخلافات والصراعات والحروب وإراقة الدّماء هو حب الدنيا والتي لا تعدوا أن تكون في أحسن أحوالها أكثر من متاعٍ – كما رأينا – فإذا أردنا لامتنا التوحد والريادة ونبذ الخلافات والصراعات علينا أن نوَسّع مِن نافذة حُبّ الجنة والعمل الصالح في رؤيتها.

التوصيات :

وفيها ما يأتي:

. أدعو – في هذا البحث المتواضع – كلَ من يَهُمّه أمرَ المُسلمين من دعاة ومصلحين وقادة وسياسيين إذا أرادوا أن يوحدوا صفوفهم ويغيروا واقعنا المؤلم أن يُنتبهوا إلى خطر حب الدنيا وشهواتها والى ما يفرزه هذا الخطر من صراعات ونزاعات طائفية وقومية وإقليمية وسياسية ولهم في ذلك بأصحاب رسول الله ﷺ أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر.

. إلى كل من اختل فهمه للدّين فأصبح الدين في نظره شعارًا فحسب بعيدًا عن العمل وتوظيف الطاقات – بسبب حب الذ – أن يعيد حساباته فلا يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

. على كل فتىً وفتاة أراد الشيطان غوايتهما فزين لهما شهواتهما وعلى كل مراهق ومراهقة خدعا بما يسمى برسائل الحب ومعسول الكلام أن يفيقوا جميعًا قبل فوات الأوان وان يفهموا أن ما يسمونه اليوم حبًا ما هو إلاّ رغبة جنسية جامحة رسولها ورائدها الشيطان، فهو يعدهم ويمنهم وما يعدهم إلاّ غرورًا.

. أن نجعل من تفسير هاتين الآيتين جزءًا من مادة التفسير في الكليات الشرعية – التي تحتوي هذه المادة لما لهما من أهمية كبيرة في معالجة ظاهرة الاختلاط وما يترتب عليها من مشاكل تؤثر على التحصيل العلمي للطلبة والتي قلما ننتبه إليها.

وأخيرًا أسأل الله أن تجد هذه الكلمات آذانا صاغية وقلوبًا واعية فينفع بها المسلمين في زمن ضعفت فيه النفوس لكثرة الفتن وانتشار الرذيلة والفاحشة، فلعل ما سطرته يكون رادعًا لمن زيّنَ لهم الشيطان أعمالهم ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [1].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

[1] سورة البقرة من الآية ٨٦.

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم ...

- **أحكام القرآن** : لمحمد بن عبد الله الأندلسي المعروف بابن العربي المالكي(د ٤٣ هـ)، تحقيق: د.عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ١ ٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م.
- **الأشباه والنظائر في القرآن الكريم** : لمقاتل بن سليمان البلخي (د ٥٠ هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور عبد الله محمود شحاتة، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- **إعراب القرآن** : لأبي جعفر النحاس (د ٣٨ هـ)، تحقيق: زهير غازي زاهر، عالم الكتب، ١ ٩٨٥ م.
- **تاج العروس** : محمد مرتضى الزبيدي (د ١٧ هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، ١ ٣٠٦ هـ.
- **الترغيب والترهيب** : للمنذري (د ٥٦ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ٤٧١ هـ.
- **التعاريف** : للمناوي (ت)، دار الفكر، بيروت – لبنان، (ب.ت).

٩ . **التعريفات** : للجرجاني (د ٨١٦ هـ)، تحقيق: إبراهيم الأنباري، دار الفكر، بيروت – لبنان، ، (ب.ت).

١٠ . **تفسير البحر المحيط** : لأبي حيان الأندلسي (د ٧٤٥ هـ)، تحقيق: عادل احمد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (ب.ت).

١١ . **تفسير التحرير والتنوير** : للإمام الشيخ محمد بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، (ب.ت).

١٢ . **تفسير القرآن العظيم المسمى تفسير المنا** : لمحمد رشيد رضا (د ١٣٥٤ هـ)، تعليق: سمير مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

١٣ . **تفسير القرآن العظيم** :لإسماعيل بن عمر بن كثير (د ٧٤٧ هـ)، تحقيق: د.عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٤ . **التفسير القرآني للقرآن** : لعبد الكريم الخطيب، د ر الفكر العربي، (ب.ت).

١٥ . **التفسير الكبير المسمّى مفاتح الغيب** : للإمام الفخر الرازي (د ٦٠٦ هـ)، المطبعة البهية المصرية ١٣٥٧ هـ.

٤ . **تفسير المراغي** : لأحمد مصطفى المراغي، مطبعة مصطفى البابي، ، ٩٦٩ م.

٥ . **تهذيب اللغ** : لأبي منصور محمد احمد الأزهري (د ٧٠ هـ)، تحقيق: عبد الـ لام هارون، دار القومية للطباعة ٩٦٤ م.

٦ . **جامع البيان عن تأويل آي القرآ** : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (د ١٠ هـ)، ضبط: محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، ، ٤٢١ هـ - ٠٠١ م.

٧ . **الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآ** : لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (د ٧١ هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ، ٤٢٧ هـ ٠٠٦ م.

٨ . **الجواب الكافي لمن سأل عن الداء والدوا** : لابن قيم الجوزية (د ٥١ هـ)، تحقيق: محمد بن عبد الله الطالبي، دار طيبة للنشر، ، ٠٠٤ م.

٩ . **الدُّر المصون في علوم الكتاب المكنو** : لشهاب الدين العباس المعروف بالسَّمين الحلبي (د ٥٦ هـ)، تحقيق: علي محمد عوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ، ٩٩٣ م.

٠٠ . **ديوان الأخطل** ، طبعة علي بن عبد الله آل ثاني ٩٦٢ م.

١٠ . **ديوان الفرزدق** ، طبعة صادرة، (ب.ت).

٢٠ . **ديوان حسان بن ثابت** ، ضبط وتصحيح: عبد الرحمن البرقوقي، طبعة دار الأندلس ٩٦٦ م.

٣٠ . **ديوان طرفة**، طبعة دار صادر، (ب.ت).

٤٠ . **سنن ابن ماجه** : لمحمد بن يزيد القزويني (ت ٧٥ هـ)، دار إحياء التراث العربي ٩٧٥ م.

٥٠ . **سنن أبي داود** : سليمان بن الأشعث السجستاني (د ٧٥ هـ)، دار الفكر، (ب.ت).

٦٠ . **سنن الترمذي** : لمحمد بن عيسى الترمذي (د ٧٩٠ هـ)، دار أحياء التراث العربي، بيروت، (ب.ت).

٧٠ . **السنن الكبرى** : لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٥٨ هـ)، ضبطه: عبد السلام علوش، مكتبة الرشد، ، ٤٢٥ هـ - ٠٠٤٠ م.

٨٠ . **سنن النسائي** : لأحمد بن شعيب النسائي (ت ٠٣٠ هـ)، دار البشائر الإسلامية ٩٨٦ م.

٢٩. **صحيح البخاري** : لمحمد بن إسماعيل البخاري (د ٥٦ هـ)، دار القلم، بيروت ٩٨٧ م.

٣٠. **صحيح مسلم** : لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (د ٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة ٣٧٤ هـ.

٣١. **ضحايا الحب** : ليوسف الحاج احمد ، مكتبة ابن حجر، ، ٢٠٠٤ م.

٣٢. **العين** : للخليل بن أحمد الفراهيدي (د ٧٥ هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهجرة، إيران ٤٠٥ هـ.

٣٣. **في ظلال القرآن** : لسيد قطب، دار الشروق، ، ٣٤ ، ٩٦٨ م.

٣٤. **القاموس المحيط** : الفيروز آبادي، لمحي الدين محمد بن يعقوب (د ١٧ هـ)، مؤسسة الرسالة - بيروت ٤٠٦ هـ.

٣٥. **اللباب في علوم الكتاب** : لأبي حفص عمر بن علي الحنبلي (د ٨٠٠ هـ)، تحقيق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيرود - لبنان، ، ٩٩٨ م.

٢٦. **لسان العرب** : لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (د ١١٠ هـ)، دار صادر، بيروت، ، .

٢٧. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** : لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (د ٤٦٠ هـ)، تحقيق: الرحالي فاروق وعبد الله الأنصاري وعبد العال سيد ومحمد العناني، قطر، ، ٣٩٨ هـ - ٩٨٥ م.

٢٨. **المستدرك على الصحيحين** : لمحمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم الـ سابوري (د ٠٥ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ٩٩٠ م.

٢٩. **مسند الإمام أحمد** : لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (د ٤١ هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ، ٣٩٨ هـ - ٩٧٨ م.

٣٠. **معالم التنزيل** : للبغوي (د ١٦٠ هـ)، تحقيق: خالد العك ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت ٩٨٦ م.

٣١. **معاني القرآن وإعرابه** : للزجاج (د ١١٠ هـ)، شرح وتحقيق: عبد الجليل عبده، عالم الكتب، ، ٩٨١ م.

٣٢. **معاني القرآن** : لأبي جعفر النحاس (د ٣٨٠ هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، طبعة جامعة بغداد، أم القرى ٩٨٨ م.

٣. **مفردات ألفاظ القرآن** : للراغب الأصفهاني (د ٥٠٢ هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داود، دار دمشق، ١٩٩٦ م.

٤. **المنتقى من كتاب التذكرة بأحوال الموتى** : للقرطبي (د ٦٧١ هـ)، انتقاء وتعليق: الصادق محمد إبراهيم، مكتبة دار المنهاج، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٦ هـ.

٥. **مواهب الرحمن في تفسير القرآن** : لعبد الكريم محمد المدرس، عُني بنشره: محمد علي القره داغي، (ب.ت).

٦. **الوسيط من تفسير القرآن المجيد** : للواحدي النيسابوري (د ٤٦٨ هـ)، تحقيق: الشيخ عادل احمد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (ب.ت).